ومعناها « وطننا » أو مسقط رأسنا اي حيث ولدنا . ولا اظن انه كان من بين طلاب الجمنازيوم، او على اقل تقدير بين زملائي التسعة في الصف وكانوا صبيانا وبنات لطيفين ، لا اذكر ان أيا منهم كان قد ولد في فلسطين العربية . اذ كنا ، جميعنا، مهاجرين من روسيا ، وقد هاجرنا الى فلسطين اما هربا من المذابح التي تعرض لها اليهود هناك ، او لتلقي تعاليم الديانة اليهودية او التعليم الصهيوني . وكانوا يرددون على اسماعنا كل يوم، وكلما واتت الفرصة ، وحيثما يفلح المدرس في تسريبها « عمينو ، ارتسينو ، مولادتينو » ، حتى في دروس العلوم كانوا يسربونها ، خلال الدرس، الى مسامعنا . وكانوا يلقنوننا « عمينو ، آرتسينو، مولادتينو » في كل حين واي مكان سواء خلال النزهات او في الصفوف او اثناء لقاءاتنا المدرسية نهار السبت حيث كنا ندعى لمناقشة القضايا السياسية . وكانوا يتوخون من هذا الوعظ المتكرر تسميم افكارنا لننقلب الى يهود قوميين . وتذكروا بأن هذا الوعظ والتلقين كان قد بدأ بالنسبة لزملائي في الصف في عام ١٩٠٤ ، وبالنسبة لي ابتداء من العام ١٩٠٨ الى ١٩١٣ حتى اصبح الجمنازيوم بؤرة للافكار القومية السياسية المتطرفة المجنونة . وفي الجمنازيوم لم نكن نمارس العبادات والفروض والشعائر الدينية بأية صورة من الصور ، اذ كانوا لا أدريين او ملحدين اذا شئت ان تدعوهم كذلك ، ولم اشاهد في الجمنازيوم أي حاخام طوال السنوات الخمس التي قضيتها فيه . ولم نمارس أية صلوات طوال هذه السنوات الخمس .فصباح أيام السبت كنا نذهب الى الجمنازيوم اما للاستماع الى محاضرات عن الصهيونية او للغناء ، وبما ان صوتي كان جميلا انضممت الى الجوقة رغم أنني لم أكن أعرف قراءة النوتة الموسيقية .

وقد علمونا في الجمنازيوم بأن نكره العرب ، وان نحتقرهم وفوق هذا كله ان نطردهم من «مولادتينو» وطننا ومسقط رأسنا ، ومن « ارتسينو » ارضنا وديارنا، اذ كانت بلادنا لا بلادهم، وانه كان بوسعنا الاطلاع على التوراة في هذا الصدد . لقد كان في فلسطين العربية في ذلك الوقت ٣٥٠٠٠ يهودي فقط بينما كان هنالك حوالي ٦٠٠،٠٠٠ من العرب المعافين ، الاسوياء ، العقلاء ، المجدين، البريئين، القليلي المعرفة ، ومع ذلك ، كانوا يعلموننا في الجمنازيوم « عمينو » ، « ارتسينو » ، و « مولادتينو » أي ، « أمتنا » ، و « أرضنا » ، و « وطننا » ، وظلوا طوال خمس سنوات يشحنونني بأفكار القومية اليهودية والصهيونية دون جدوى حمدا لله ! حمدا لله ! لانني حافظت على نفسي انسانا متحضرا ينتمي الى العالم وليس الى فئة من فئات القومية السياسية . .

طوال الفترة التي عشتها في فلسطين ، في القدس في بادىء الامر ، ثم في يافا وتل ابيب كانت جميعها عربية . لقد كان هنالك عدد قليل من المستعمرات اليهودية ، وعدد اقل منها من المستعمرات التعاونية التي سأذكر دائما باعجاب خاص ، لانني قضيت اسابيع كثيرة في بعض الكيبوتزات في الجليل خلال ايام دراستي في الجمنازيوم . وترد الى خاطري الان ذكرى انني عندما التحقت بالجمنازيوم استأجرنا بيتا من عربي يقع على الطريق بين يافا وكثبان الرمال التي انشئت عليها ، فيما بعد ، مدينة تل ابيب . لقد كان هنالك القليل من اليهود في تل ابيب لا يتجاوز عددهم بضعة الاف ، قليل من التجار والخياطين وصانعي الاحذية واليهود المتدينين الذين كانوا يمضون اوقاتهم في الكنيس يصلون ثلاث مرات في اليوم ، ويعيشون من الاعانات والصدقات التي كانوا يتلقونها من التبرعات التي كانت تجمعها من الخارج بعض الجمعيات ومبعوثو هيئات يهود فلسطين ، او الاعانات التي كان الابناء في الخارج يرسلونها لآبائهم المسنين الذين رغبوا في قضاء اواخر ايام حياتهم في « الارض المقدسة » كما كانوا يدعونها .

انني احاول جاهدا ، وبأمانة ، ان اتذكر اي عامل أو شغيل يهودي واحد ، بناء مثلا ، وهو الرجل الذي يصف قطعة طوب فوق اخرى ، ولكن يومئذ لم يكن هناك طوب بل حجارة كانوا يقطعونها من الصخر ثم ينحتونها ثم تبنى الواحدة فوق الاخرى. لم أقابل أبدا بناء من اليهود في فلسطين ، كما لم اشاهد قط عاملا يهوديا يعمل في كروم العنب التي يملكها عمي او سواه ، كما لم تر عيناي يهوديا يفلح الارض — كانوا جميعا من اولئك العرب . فعمي كان يرتدي بذلة ورباط عنق وحذاء جيد التلميع كان يلمعه له احد عماله العرب في الصباح قبل ان يستيقظ من نومه بفترة طويلة . وكان هذا هو طابع الحياة التي كان يعيشها اليهود قبل ان يغد الى فلسطين بن غوريون وصحبه من العمال الفتيان ، وكانوا قليلي العدد نسبيا ،